المدرسة المالكية بصقلية
تاريخها وأعلامها وعلاقاتها بالمدرسة البغدادية

إعداد أ. سعد بن يحيى

الحمد لله الوهاب الذي أنزل الكتاب فهدى به العباد إلى الصواب، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الحساب.

وبعد:

تحمل هذه الورقة بين حنباتها محاولة لإبراز علاقة المدرسة المالكية البغدادية بالمدرسة الصقلية، وتأثر هذه الأخيرة بآراء العلماء البغداديين، ومنهجهم في دراسة المدونة مثلاً، والذي يعتمد على الأدلة والقياس والنظر الأصولي، والمنهج الجدلي، والغوص على المعاني وأسرار التشريع.

وقد اخترت الحديث عن المدرسة الصقلية وعلاقتها بالمدرسة البغدادية، لكون أعلام المدرسة الصقلية تتلمذوا لمشايخ المدرسة البغدادية أولاً، ولاعتماد الفقهاء الصقليين على مصنفات البغداديين ثانيًا، ويظهر أن مصنفات الصقليين تختزن عددًا كبيرًا من النقول عن مصنفات فقهية عراقية فقدت، وأخرى لم تطبع بعد.

وقد ترتب هذا البحث في فصل أول: تناولت فيه الحديث عن تاريخ المدرسة الصقلية وأعلامها.

وأتبعت ذلك بفصل ثان: تناولت فيه الحديث عن مظاهر تأثر المدرسة الصقلية بالمدرسة البغدادية عمومًا، وبالقاضي عبد الوهاب –رحمة الله– بشكل خاص، وذلك من خلال مصنفين مغمورين للعلامة عبد الحق الصقلي رحمة الله، وهما كتاب النكت والفروق لمسائل المدونة والمختلطة، وكتاب تهذيب الطالب وفائدة الراغب، والمشتمل على كثير من مسائل المدونة والمختلطة.

وختمت البحث بخلاصة موجزة لأهم نتائج البحث.

والله من وراء القصد، وما توفيقي إلا بالله...

منذ النصف الثاني من القرن الثالث أخذت العلوم الشرعية في الانتشار ببقاع الجزيرة الصقلية، حيث دخل مذهب مالك بن أنس –رضي الله عنه– على يد ثلة من أصحاب سحنون وتلامذته، فكان عبد الله بن حمدون الكليبي (أو حمدويه) الصقلي المتوفى سنة ٢٧٠ هـ – أحد من سمع من سحنون – ينشر مذهب مالك بصقلية[1]، وكان من أصحابه أيضًا الفقيه دعامة بن محمد الذي ولي القضاء لبني الأغلب ٢٩٧هـ، وسليمان بن سالم القاضي من أصحاب سحنون – أيضًا – ولي القضاء بصقلية وما بها، وعنه انتشر الفقه بصقلية[2] وكان لقمان بن يوسف الغساني يدرس المدونة ويأخذها في اللوح مدة أربع عشرة سنة أقامها في صقلية، ويقال إنه كان عالمًا باثني عشر صنفًا من العلوم[1].

وكان أبو عمرو ميمون بن عمرو بن المعلوف من أصحاب سحنون أيضًا، ومعدودًا فيهم ذا دين وفضل، ولي مظالم القيروان ثم قضاء صقلية، توفي سنة ٣١٠هـ[2].

وهكذا بدأت المدرسة المالكية تثبت أركانها بصقلية على يدء هؤلاء الشيوخ الذين أدخلوا المدونة إليها بعد الفتح بقليل، فقاموا بتدريسها واختصارها وشرحها، وبينوا ما فيها من غريب، ونسجوا على منوالها.

كما اعتنت حلقات الدرس الفقهي بصقلية بموطأ مالك، وغيره من المؤلفات، ككتاب الملخص لأبي الحسن القابسي، والذي لخص فيه ما اتصل بإسناده من أحاديث الموطأ، ومثل هذه الكتب كانت تصل إلى صقلية في الغالب عن طريق القيروان.

---

(1) ترتيب المدارك: ٢١٩/٤.

(2) طبقات الفقهاء: ١٦٢/١.

(1) رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية: ١٩٣/٢.

(2) ترتيب المدارك: ١١٠/٥ – ١١١.

مع نهاية القرن الرابع الهجري بدأت المدرسة الفقهية بصقلية بإصدار أول مصنفاتها الفقهية، فقد ألف أبو سعيد البراذعي كتاب التهذيب في اختصار المدونة سنة ٣٧٢هـ بصقلية، فتعقبه عبد الحق الصقلي واستدرك عليه في كتاب سماه بتهذيب الطالب وفائدة الراغب، كما ألف كتاب النكت والفروق لمسائل المدونة والمختلطة في أوائل القرن الخامس ٤١٨هـ، وصنف أبو بكر محمد بن عبد الله بن يونس المتوفى ٤٥١هـ كتاب الجامع، والذي أضاف فيه إلى المدونة غيرها من الأمهات الفقهية.

وفي النصف الأول من هذا القرن دخلت إلى صقلية مؤلفات فقهية أخرى ككتاب التقريب لأبي القاسم خلف بن بهلول البربلي (ت ٤٤٤هـ)، وقد عول فيه على نقل ابن أبي زمنين في لفظ المدونة، واستعمله الطلبة للمذهب في المناظرة، وانتفعوا به، حتى قال بعضهم: من أراد أن يكون فقيهًا من ليلته فعليه بكتاب البربلي.

ويحكي القاضي عياض: لما أكمل خلف بن القاسم بن بهلول البربلي كتابه دخلت منه نسخة صقلية وعبد الحق بها، فلما قرأه ونظر فيه إلى أقواله وما أدخله فيه من الكتب استحسنه، وأراد شراءه فلم يتيسر له ثمنه، فباع حوائج من داره واشتراه، فغلا الكتاب وتنافس فيه الناس عند ذلك(3).

وقد تخرج من هذه المدرسة علماء أفذاذ مثل:

- أبو بكر عتيق بن عبد الجبار الربيعي الفرضي الصقلي، فقيه فاضل، أديب في القرآن والفرائض، وتفقه عليه في المدونة، وكان إمامًا في علم الفرائض، وعنه أخذها أهل صقلية وغيرهم(1).

- أبو بكر بن أبي العباس، فقيه صقلية ومدرسها، أخذ عن أبي محمد بن أبي زيد، أخذ عنه ابن يونس(2).

---

(3) ترتيب المدارك: ١٦٤/٨.

(1) ترتيب المدارك: ٢٧٠/٧.

(2) ترتيب المدارك: ٢٧٠/٧.

– أبو عبد الله محمد بن الفرج المازري المعروف بالذكي الصقلي، سكن قلعة بني حماد، وكان فقيهًا حافظًا، مدركًا نبيلاً، فهمًا متقدمًا في علم المذهب واللسان، متفننًا في علوم القرآن وسائر المعارف، توفي بأصبهان بعد الخمسمائة[3].

– أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي المازري، الفقيه المالكي[4] (ت ٥٣٦ هـ).

له تآليف مفيدة، عظيمة النفع، في الفقه والأصول والأدب، منها: "المعلم بفوائد مسلم"، و"التعليقة على المدونة"، و"شرح التلقين للقاضي عبد الوهاب"، و"شرح البرهان" لأبي المعالي الجويني، سماه: "إيضاح المحصول في برهان الأصول".

– عبد المنعم بن الحسين الجرشي العتقي من أهل صقلية، يكنى أبا أحمد، كان فقيهًا مالكيًا جليلاً، ذكره أبو مروان الطبني، وقال: لقيته بالمدينة من صقلية، وناهيك به تمامًا وفضلاً، وقد دخل إلينا الأندلس قبل حركتي إلى المشرق، وعلقت عنه فوائد عجيبة ونكتًا حسانًا[5].

كما ظهر من علماء صقلية من له علم بالأصول وعلم الكلام، كأبي محمد، المعروف بابن صاحب الخميس الصقلي، وهو فقيه متكلم أصولي، فاضل مشهور موضعه، ذكره الميورقي فقال: كان فقيهًا، متكلمًا، إمامًا في علم الأصول، نافذًا في علم الفروع، متورعًا عن الفتيا. قال: هو أكبر من لقيت بصقلية[1]. وكذلك أبو العباس

---

(3) ترتيب المدارك: ٨/١٠١ – ١٠٢ .

(4) ترجمته في: فهرس القاضي عبد الحق ابن عطية: ١٠٧، الغنية: ٦٥، ٢١٠، معجم البلدان: ٥/٤٠، وفيات الأعيان: ٤/٢٨٥/ سير أعلام النبلاء: ٢٠/١٠٤، العبر: ٤/١٠٠، الديباج: ٣٧٤٤، رقم ٥٠٨، شذرات الذهب: ٢/١١٤، أزهار الرياض في أخبار عياض لشهاب الدين المقري: ٣/١٦٥، وانظر تقديم الشيخ محمد الشاذلي النيفر لكتاب المعلم بفوائد مسلم للمازري، ففيه ترجمة له مفصلة: ١/٨-١٠٤.

(5) التكملة لكتاب الصلة: ٣/١٢٩.

(1) ترتيب المدارك: ٨/٧٤-٧٥.

أحمد بن محمد بن الجزار، قال عنه القاضي عياض: صقلي مشهور، مقدم ببلده، انفرد برئاسة الفتيا، والشهرة بالخير، والديانة والصيانة، وكان من أهل التحقيق بالفقه والأصول[2].

وعلى العموم فإن الحركة العلمية بصقلية أخذت في الازدهار لولا الفتن التي عمّت الجزيرة منذ مطلع القرن الخامس الهجري، والتي تسببت في هجرة عدد كبير من العلماء إلى مصر وتونس وغيرها من الأمصار التي كانت تشهد استقرارًا نسبيًّا آنذاك، ومع ذلك فقد احتفظت لنا كتب التراجم ببعض العلوم التي اشتغل بها الصقليون إلى جانب الفقه والأصول:

علم القراءات:

عرفت صقلية حلقات في علم القراءات يرأسها مشايخ كبار أمثال أبي محمد عبد الله فرج المدني، ومحمد بن إبراهيم بن الشامي المديني، وأبي بكر محمد بن علي الأزدي ابن بنت العروق، وأبي عبد الله محمد بن عبد الله الفتال، وهؤلاء شيوخ المدينة ومقدمون في الإقراء[3]، كما نبغ من أبناء هذه المدرسة أعلام كثر في علم القراءات القرآنية، نذكر من بينهم:

– أبو البهاء عبد الكريم بن عبد الله بن محمد المقرئ الصقلي، قال عنه السلفي: "كان من أهل القراءات والحديث. روى لي شيئًا يسيرًا من حفظه، وكتبت من أجزائه كذلك فوائد من حكاية وشعر. ولد سنة ٤٤٠هـ بصقلية، وتوفي سنة ٥١٧هـ بالإسكندرية"[4].

– أبو الطاهر إسماعيل بن خلف الصقلي المتوفي سنة ٤٥٥هـ، كان إمامًا في علوم الأدب، متقنًا لفن القراءات، وقد صنّف كتابًا في علم القراءات سماه العنوان[5].

---

(2) ترتيب المدارك: ٨/٧٥.

(3) معجم السفر ١٩٠.

(4) نفسه ١٩٠.

(5) معرفة القراء الكبار رقم الترجمة ٣٢٦.

– أبو القاسم عبد الرحمن بن عتيق بن خلف المقرئ الصقلي، المعروف بابن الفحّام، كان من كبار القراء، وممن رحل من المغرب إلى المشرق في طلب القراءة على الشيوخ، فأدرك في مصر ابن هاشم، وابن نفيس، وعبد الباقي بن فارس[6] ... له تأليف حسن سماه "التجريد في بغية المريد"، قال السلفي: "كتبت أنا منه أسانيد كل قراءة، وكان حافظًا للقراءات صدوقًا متقنًا عالمًا كبير السن، توفي في ذي القعدة سنة ست عشرة وخمسمائة، وقد قال لي أبو الربيع سليمان بن عبد العزيز المقرئ الحمصي (حمص الأندلس): "ما رأيت أعلم بالقراءات ووجوهها منه لا بالمغرب ولا بالمشرق، وإنه ليحفظ القراءات كما نحفظ نحن القرآن[1]".

وكتابة "التجريد" من أشكل كتب القراءات حلاً ومعرفة.

علم الحديث:

أما علم الحديث، فقد اقتصرت الدراسات الحديثية بصقلية –في الغالب– على كتاب الموطأ شرحًا وتلخيصًا، وصحيح مسلم شرحًا له وتعليقًا، ورواية بعض كتب غريب الحديث.

فقد ألّف محمد بن يونس التميمي المتوفى سنة ٤٤٧هـ، وهو عَلَم من أعلام مازر، شرح موطأ مالك بن أنس –رضي الله عنه– كما روى العباس بن عمرو الصقلي غريب الحديث لقاسم بن ثابت السرقسطي[2]، يقول أبو عميرة الضبي: هذا الكتاب حسن، مشهور، ذكره أبو محمد بن حزم وأثنى عليه[3].

---

(6) نفسه.

(1) معجم السفر ١٧٥.

(2) جذوة المقتبس ٢٢٩.

(3) بغية الملتمس.

وانصرف عتيق بن علي السمنطاري المتوفى سنة ٤٦٤هـ إلى تدريس الحديث، وألف كتابًا سماه "دليل القاصدين" وكان عبد الجليل بن مخلوف الصقلي[4] المتوفى سنة ٥٤٤هـ يدرس مذهب مالك أربعين سنة، وسمع عليه الحديث كثيرون. وأخذ الطلبة عن أبي عبد الله المازري المتوفى سنة ٥٣٦هـ شروحاته وتعليقاته على صحيح مسلم.

وعلى العموم فقد كان لدى الصقليين تهيب من رواية الحديث، فابن الحذاء القيسي الصقلي أبى أن يروي لأبي طاهر السلفي شيئًا من الحديث خشية الوقوع في الخطأ أو الاتهام بالكذب. وسماعه كالآتي: أنا أبو بكر عتيق بن علي بن داود السمنطاري بصقلية، أنا أحمد بن إسحاق المهراني، ثنا أبو بكر النصيبي، ثنا تمتام، ثنا القعنبي، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر، أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: "الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله"[5].

يقول السلفي: "وقد كان يمتنع من الرواية، ولم يقرأ أحد عليه قطّ شيئًا من الحديث غيري بعد امتناع زائد، وخطب طويل جرى بيني وبينه حين وقفت على سماعه من السمنطاري، وإجازته له جميع رواياته"[1].

علم اللغة والأدب:

كما حظيت علوم اللغة باهتمام الصقليين، فدرسوا كتب المشارقة وشرحوها واختصروها، وبرز من بين الصقليين علماء فطاحل باللغة، نذكر منهم:

– محمد بن أبي الفرج المالكي الكتاني الصقلي المعروف بالذكي النحوي، كان فاضلاً عارفًا باللغة والأدب، وكان آية في النحو وعلومه[1]، وكان مولده بصقلية سنة

---

(4) ترجمته بترتيب المدارك: ٨/٧٤.

(5) رواه البخاري: ١/٢٠٣، ومسلم: ١/٤٣٥.

(1) معجم السفر ٢٣٥.

(1) إنباء الرواة: ٣/٧٣.

٤٣٧هـ، وقرأ الفقه على محمد بن يونس، والنحو على أبي علي الحيولي، ولم يخرج من صقلية إلا وهو إمام في الفقه والنحو، توفي بأصبهان سنة ٥١٢هـ[2].

- أبو حفص عمر بن خلف بن مكي الصقلي، وصفه القفطي بأنه "فقيه محدث لغوي عالم بالعربية، مصنف في اللغة[3]، ومن تصانيفه "تثقيف اللسان" دالٌّ على غزارة علمه"[4].

- أبو القاسم علي بن جعفر السعدي، المعروف بابن القطاع، المتوفي سنة ٥١٥هـ، تتلمذ له كثير من الصقليين والمصريين، يعتبر كتابه "الدرة الخطيرة في شعراء الجزيرة" أهم مصدر عن الحركة الأدبية والفكرية في صقلية إبان الحكم العربي الإسلامي لها، فقد احتوى على مائة وسبعين شاعرًا، وعشرين ألف بيت من الشعر حسب رواية ياقوت الحموي[5]، ولابن القطاع تصانيف نافعة، منها كتاب "الأفعال" الذي أحسن فيه كل إحسان، ووصف بأنه أجود من الأفعال لابن القوطية، كما ألف كتاب "أبنية الأسماء" الذي جمع فأوعى، فيه دلالة على كثرة اطلاعه[6].

كما أضحت صقلية مع بداية القرن الخامس محج كثير من المهتمين بالدراسات اللغوية والنحوية، فقد وفد عليها من أهل ميورقة: غالب بن عبد الله بن أبي اليمن بن محمد بن عامل القيسي النحوي في سنة أربعة وعشر وأربعمائة، ولقي بها أبا العلاء صاعد بن الحسن اللغوي، وقد أسنَّ فقرأ عليه[7].

وبالرغم من وجود عدد كبير من علماء اللغة بصقلية، فإن اللغة العربية أصيبت باللحن بعد دخول الإسلام إلى صقلية بزمن قصير، وربما يكون ذلك أمرًا طبيعيًا

---

(2) بغية الوعاة ٩٠.

(3) إنباء الرواة: ٣٢٩/٢.

(4) البلغة: ١٦١/١. وقد طبع كتاب تثقيف اللسان وتنقيح الجنان بتحقيق د. عبد العزيز مطر.

(5) معجم الأدباء ص: ١٦٦٩ نقلاً عن الدورة الخطيرة ص ٧، تحقيق الأستاذ: بشير البكوش.

(6) وفيات الأعيان: ٣٢٣.

(7) التكملة لكتاب الصلة: ٤٩/٤.

لدخول عدد كبير من الصقليين في الإسلام، وقد نبه ابن حوقل إلى هذه الظاهرة في زيارته لصقلية، ولحظ أن اللحن يشيع على ألسنة عدد كبير من الناس وهم لا يأبهون لذلك[1].

وكان من نتائج هذا التساهل –أو الإهمال– أن فشا اللحن في لغة الصقليين بصورة خطيرة، وصفها ابن مكي في عصره بقوله: "فلما تمت الحجة، ووضحت المحجة، هجم الفساد على اللسان، وخالطت الإساءة الإحسان، ودخلت لغة العرب، فلم تزل كل يوم تنهدم أركانها، وتموت فرسانها، حتى استبيح حريمها، وهجن صميمها، وعفت آثارها، وطفئت أنوارها، وصار كثير من الناس يخطئون –وهم يحسبون أنهم مصيبون– وكثير من العامة يصيبون –وهم لا يشعرون– فربما سخر المخطئ من المصيب، وعنده أنه قد ظفر بأوفر نصيب، وتساوى الناس في الخطأ واللحن، إلا قليلاً[2]".

وإذا كنا نعرف هذا القدر من المعلومات عن الفقه والقراءات والحديث واللغة – فنحن في الواقع نجهل كل شيء عن التفسير والمفسرين، عدا ما ذكر من أن محمد بن عبد الله المقرئ من أهل صقلية المقيمين بها، كان من أهل القرآن والتفسير.

فهذه العلوم التي انتشرت في صقلية جعلت منها مدرسة قائمة بذاتها داخل المذهب المالكي، وإن لم تحظ بالاهتمام الذي تستحقه من دراسة وتحقيق ونشر مصنفاتها إلا إذا استثنينا بعض مؤلفات الإمام المازري.

ولا شك أن المدرسة الصقلية تأثرت بالمدارس المالكية التي سبقتها كالمدرسة القيروانية، والمدرسة المصرية، والمدرسة الأندلسية، والمدرسة البغدادية، وذلك من خلال مصنفين مغمورين للعلامة عبد الحق الصقلي –رحمه الله– وهما: "النكت والفروق لمسائل المدونة والمختلطة،" وكتاب "تهذيب الطالب وفائدة الراغب" المشتمل على كثير من مسائل المدونة والمختلطة.

---

(1) الشعر العربي في صقلية في القرن الخامس ص ١١٣.

(2) تثقيف اللسان وتلقيح الجنان ص ٤١.

الفصل الثاني: أثر المدرسة المالكية البغدادية في المدرسة المالكية الصقلية:

من المعلوم أن أهل العراق جعلوا في مصطلحهم مسائل المدونة كالأساس، وبنوْا عليها فصول المذهب بالأدلة والقياس، ولم يرجعوا على الكتاب بتصحيح الروايات، ومناقشة الألفاظ، ودأبهم القصد إلى إفراد المسائل، وتحرير الدلائل على رسم الجدليين وأهل النظر من الأصوليين(3).

وهذا المنهج متأثر بالبيئة العلمية المحيطة به، وهي البيئة التي ساد فيها مذهب أهل الرأي، بخلاف المدارس المالكية الأخرى التي اعتمدت منهج الأسمعة.

ومنهج المدرسة الصقلية يكاد يجمع بين الطريقتين في الاعتماد على الروايات والأسعمة من جهة، والتفريع للمسائل الفقهية والاستدلال لكل مسألة بما لها من أدلة من جهة أخرى، ويشمل هذا أدلة الكتاب والسنة وأدلة النظر والقياس وغيرها.

فما هي مظاهر هذا التأثر، وما هي الأدلة عليه؟

من المهم أن نعرّف بالعلامة عبد الحق الصقلي –رحمه الله–(1) وبمؤلَّفيْه: النكت والفروق لمسائل المدونة والمختلطة، وكتاب تهذيب الطالب وفائدة الراغب المشتمل على كثير من مسائل المدونة والمختلطة؛ لأن ذلك يبين بعض مظاهر التأثر بالمعالم الأصولية والفقهية للمدرسة البغدادية.

---

(3) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض: ٢٢/٣.

(1) لم أترجم للقاضي عبد الوهاب رحمه الله بتوسع تجنبًا للتكرار، ولأن المحاور الأخرى للندوة تختص بشخصية القاضي عبد الوهاب. ترجمته بترتيب المدارك: ٧١/٨-٧٢-٧٣-٧٤، الديباج المذهب ١٧٤، سير أعلام النبلاء: ٢٤٥/١٨، شجرة النور الزكية ١١٦، الفكر السامي ٢٥٠/٤، معجم المؤلفين ٩٤/٥.

عبد الحق الصقلي (ت ٤٦٦هـ/ ١٠٧٤م):

اسمه ونسبه:

هو أبو محمد عبد الحق بن محمد بن هارون السهمي[2] القرشي من أهل صقلية.

سيرته:

ذكره ابن عمار المتكلم، فقال: إمام مشهور بكل علم متقدم، مدرس للأصول والفروع، وذكره ابن سعدون فقال: كان من الصالحين المتّقين، فيه وقار أهل العلم وسكينتهم وإذعانهم للحق، كثير الإنصاف. وأنشد لهم ابن القطاع[3] من شعره:

أرى فتن الدنيا تزيد وأهلها يخوضون بالأهواء في غمرة الجهل
فما إن يرى من مخلص ذو بصيرة وما إن يرى من صادق القول والفعل
فيا سوء حالي حين أصبحت فارغًا ولم أدخر زادًا وما زلت في شغلي

وذكره القاضي أبو الوليد الباجيّ في كتابه فرق الفقهاء[1] فقال: اتفق انصرافي من المشرق في سنة تسع وثلاثين وأربعمائة، فوصلت من الشام إلى جزيرة صقلية،

---

(2) هكذا في باقي مراجع الترجمة عدا نسخة ترتيب المدارك المغربية تحقيق: د. سعيد أعراب. فقد ورد – التميمي دون السهمي، وهذا مخالف لطبعة دار الحياة – بيروت، للدكتور أحمد بكير محمود ٧٧٤/٣. وسهم: بطن من باهلة، من القحطانية، وهم بنو سهم ابن عمر ابن ثعلبة ابن غنم ابن قتيبة، وسهم اين عمر بطن من قريش من العدنانية، وهم بنو سهم بن عمر بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان كانوا بفسطاط مصر، وفرق منهم استقامت بالصعيد، ولهم حصة في وقف عمرو بن العاص على أهله بالفسطاط، وكانت دور بني سهل حول جامع عمرو بن العاص. معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، عمر رضا كحالة، ٥٦٠/٢.

(3) في نسخة دار الحياة ابن القطان: ٧٧٤/٣، ونسب الأبيات له، في حين نسب الحجوي الثعلبي هذه الأبيات لعبد الحق الصقلي ٢٥٠/٣، وهو مخالف لما جاء في الرد الخطير ومعجم العلماء والشعراء الصقليين.

وفقيه الجزيرة إذا ذاك عبد الحق بن محمد بن هارون، وكان من أهل العلم والعقل والدين والحياة والفضل -رضي الله عنه وأرضاه- وكنت جالستُه كثيرًا في مكة في مجلس أبي ذرّ، وضمّنَا السماع منه في أعوام[2].

مولده وأسرته:

على الرغم من توفر ترجمة عبد الحق الصقلي في الكتب التي أشرت إليها إلا أن هناك جوانب كثيرة ومهمة في حياة عبد الحق ظل يكتنفها الستر والغموض، وذلك مثل تاريخ مولده وطلبه للعلم وأسرته.

وبما أن هذه المصادر لم تذكر لنا السن التي توفي عنها عبد الحق الصقلي، فإننا لا نستطيع التكهن بأي تاريخ لميلاده أو لمكانه. نفس الأمر يصدق على أسرته، فلم نعثر بين كتب التراجم سوى على أبيات شعرية ترثي أبنًا له اسمه عمران، وهي منسوبة لابن القطاع:

أراك قريبًا واللقاء بعيد ... وجسمك يبلى والزمان يبيد
وما كان يا عمران في الظنّ أنني ... أراك مقيمًا في التراب تبيد
ولا أنني أبقى وراءك ساعة ... أعاين موجودًا وأنت فقيد
سأصبر في الدنيا -بنيّ- لعلني ... ألاقيك في الأخرى وأنت سعيد[3]

---

(1) وهو من كتبه المفقودة، وينقل عنه بعض المؤلفين مثل أبي عبد الله بن الأزرق الأندلسي في كتابه "روضة الأعلام"، ويبدو أنه يعرض بعض مسائل الخلاف بين علماء المذاهب الذين اتصل بهم الباجي، وقال بن هلال عن هذا الكتاب: رأيته بالإسكندرية. فصول الأحكام ص ٦٠.

(2) وهذه الفائدة تفرد بها صاحب طبقات المالكية رحمه الله ص ٢٧٢.

(3) ترتيب المدارك "المغربية": ٧٤/٨، الدرة الخطيرة في شعراء الجزيرة ١٠٢، معجم العلماء والشعراء الصقليين ٥٠، ولكنه نسبه لعبد الحق الصقلي في ٢٦٧.

طلبه للعلم:

لا نستطيع الجزم بتحديد السنّ التي بدأ فيها عبد الحق الصقليّ تلقيه العلم، إلا أن بعض الإشارات في ترجمته تدلّنا على أن الرجل ارتحل في طلب العلم، وتفتح على ثقافة عصره، وهذا ما يظهر من خلال توسع دائرة شيوخه وتلاميذه، وكذلك مؤلفاته وموارده.

شيوخه:

يذكر القاضي عياض أن عبد الحق الصقلي تفقه بشيوخ القرويين[1] والصقليين وغيرهم، ومن هنا فقد رتبت شيوخه على الشكل التالي:

أ – القرويون:

– أبو الطيب عبد المنعم بن إبراهيم الكندي: المعروف بابن بنت خلدون، قيرواني، هو ابن أخت الشيخ أبي علي خلدون السهمي، من نبلاء هذه الطبقة ومتقنيها، وكان له علم بالأصول، وحذق بالفقه والنظر، وبه تفقه اللخمي وعبد الحق وابن سعدون وغيرهم، ذكره بعض العلماء فقال: كان قدوة في العلم والدين، ورأيت أهل قفصة قد سألوه في مسألة بدأوها بقولهم: "إن الله تعالى مَنَّ علينا معشر المسلمين بأن جعلك إمامًا لنا نقتدي به، راسخاً في العلوم، نفزع إليه"، وكانت له رحلة، ودخل مصر، وله على المدونة تعليق مفيد.[2]

– أبو عبد الله مكي بن عبد الرحمن المنستيري: القرشي، من فقهاء إفريقية، وأصحاب القابسي، وكان كاتبه، ومختصًا به[3].

---

(1) ورد في معجم السفر لأبي طاهر السلفي: ١٨٩/١ أن أبا عبد الله الحسين الأجدابي سمع من عبد الحق الصقلي بالقيروان، وهذا يدل على أن عبد الخالق رحل إلى القيروان في فترة من فترات حياته أو مر بها في طريقه إلى الحج.

(2) ترتيب المدارك: ٦٧/٨.

(3) ترتيب المدارك: ٢٦٢/٧.

– أبو القاسم السيوري: اسمه عبد الخالق بن عبد الوارث، قيرواني، آخر طبقته، من علماء إفريقية، وخاتمة أئمة القيروان، وذوي الشأن البديع في الحفظ والقيام بالمذهب، والمعرفة بخلاف العلماء، وكان زاهدًا، فاضلاً، دينًا، نظارًا، وكان آية في الدرس والصبر عليه، ذكر أنه كان يحفظ دواوين المذهب، ويحفظ غيرها من أمهات كتب الخلاف، حتى إنه كان يذكر له القول لبعض العلماء فيقول: أين وقع هذه؟ ليس هو في كتاب كذا ولا كتاب كذا، ويعدّد أكثر الدواوين المستعملة من كتب المذهب والمخالفين والجامعين، فكان في ذلك آية، له تعليق على نكت من المدوّنة، أخذ عنه عبد الحق الصقلي وابن سعدون وغيرهما، كانت وفاته بالقيروان سنة ستين وأربعمائة –رضي الله عنه–[4].

– أبو إسحاق التونسي: واسمه إبراهيم بن حسن، تفقه بأبي بكر بن عبد الرحمن وأبي عمران الفاسي، وطبقته، ودرس الكلام والأصول على الأزديّ، كان جليلاً فاضلاً، إمامًا صالحًا، منقبضًا، متبتلاً، تفقه به جماعته من الإفريقيين، وأخذ عنه عبد الحق وابن سعدون وعبد العزيز التونسي وابن أبي جامع وغيرهم من الجلة، وله شروح حسنة وتعاليق مستحسنة مستعملة متنافس فيها على كتاب ابن المواز وعلى كتب المدونة[1].

ب – الصقليون:

– أبو بكر بن أبي العباس فقيه صقلية ومدرّسها، أخذ عن أبي محمد بن أبي زيد، أخذ عنه ابن يونس[2].

ج – الفاسيون:

– أبو عمران الفاسي، اسمه موسى بن عيسى بن أبي حاج بن وليم بن الخير الغفجومي، وغفجوم فخذ من زناتة، قال السمنطاري: من هوارة، أصله من فارس،

---

(4) ترتيب المدارك: ٨/٦٥–٦٦.

(1) ترتيب المدارك: ٨/٥٨–٥٩.

(2) ترتيب المدارك: ٧/٢٧٠.

وبيته بها بيت مشهور. استوطن القيروان، وحصلت له بها رئاسة العلم، وكان تفقه عند أبي الحسن القابسي، وسمع من أبي بكر الدويليّ، وعلي بن أحمد اللواتي السوسي، ورحل إلى قرطبة وتفقه بها عند أبي محمد الأصيلي، وسمع بها من أبي عثمان سعيد بن نصر، وعبد الوارث بن سفيان، ثم رحل إلى المشرق فحَجَّ ودخل العراق. درس الأصول على القاضي أبي بكر البلاقلاني، قال عنه: لو اجتمعت في مدرستي أنت وعبد الوهاب بن نصر -وكان إذ ذاك بالموصل- لاجتمع فيها علم مالك: أنت تحفظه، وهو ينصره، لو رآكما مالك لسُرَّ بكما.

وسمع بالحجاز من أبي الحسن بن أبي فارس، وبمصر من عبد الوهاب بن نصر، توفي أبو عمران سنة ثلاثين وأربعمائة(3).

- الفقيه أبو القاسم عبد الحق بن محمد بن عبد الرحمن بن العجوز: كان عالمًا نبيلاً، حسن الخط، بصيرًا بالأحكام والوثائق، عالمًا بالاحتجاج، حضرت مجلسه في تدريس المدونة وغيرها فما رأيت أحسن منه احتجاجًا، ولا أبين منه توجيهًا، ولاّه الجزيرة الخضراء القاضي أبو عبد الله بن عيسى من سبتة، إذ كانت من نظره، ثم ولاه قضاء سلا بتقديم قاضي الجماعة ابن منصور، ثم نقل الحضرة، استخلفه فيها قاضي الجماعة، ثم رحل إلى فاس فبقي فيها إلى أن توفي بها. أخذ عنه عبد الحق الصقلي حينما التقى به في الحج(4).

د - البغداديون والمشارقة:

- القاضي عبد الوهاب(1): الإمام العلامة شيخ المالكية، أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر بن أحمد بن حسين بن هارون بن أمير العرب مالك بن طوق

---

(3) ترتيب المدارك: ٢٤٣/٧-٢٥٢.

(4) ترتيب المدارك: ٢٠٤/٨-٢٠٥.

(1) تاريخ بغداد لأبي بكر الخطيب: ٣١/١١، وفيات الأعيان: ٢١٩/٣، سير الأعلام النبلاء: ٤٢٩/١٧، العبر: ١٥١/٣، البداية والنهاية: ٣٢/١٢، الديباج المذهب لابن فرحون: ٢٦١ رقم ٣٤٣، شذرات الذهب: ٢٢٣/٢، معجم المؤلفين: ٢٢٢/٦.

التغلبي، البغدادي، الفقيه المالكي، من أولاد صاحب الرحبة، ولد يوم الخميس السابع من شوال سنة اثنتين وستين وثلثمائة ببغداد. سمع أبا عبد الله بن العسكري، وعمر بن محمد بن سنبك، وأبا حفص بن شاهين والأبهري، وتفقه على كبار أصحابه: ابن القصار، وابن الجلاب.

خرج في آخر عمره إلى مصر، فمات بها ليلة الاثنين الرابع عشر من صفر سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة -رحمه الله تعالى- ودفن في القرافة الصغرى، بالقرب من ابن القاسم وأشهب -رحمهما الله تعالى- وألّف في المذهب والخلاف والأصول تآليف كثيرة مفيدة، منها: كتاب النصرة لمذهب إمام دار الهجرة، والمعونة لمذهب عالم المدينة(2)، و"شرح رسالة ابن أبي زيد"(3)، و"الممهد في شرح مختصر الشيخ أبي محمد"، و"شرح المدونة"، و"كتاب التلقين"(4)، و"شرحه" لم يتم، و"التلخيص" في أصول الفقه، و"الإشراف على مسائل الخلاف"(5)، وكتاب الفروق في مسائل الفقه... وغير ذلك.

- إمام الحرمين: الإمام الكبير شيخ الشافعية إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن الإمام أبي محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه الجويني ثم النيسابوري، ضياء الدين الشافعي، صاحب التصانيف، ولد في أول سنة تسعة عشرة وأربعمائة(6)، توفي في الخامس والعشرين من ربيع الآخر سنة ثمان

---

(2) فهرسة ابن خير ٢١٢.

(3) فهرسة ابن خير: ٢١١.

(4) فهرسة ابن خير: ٢١٠، باسم "كتاب تلقين المبتدي وتذكرة المنتهي".

(5) فهرسة ابن خير: ٢١٠.

(6) سير أعلام النبلاء: ٤٦٨/١٨.

وسبعين وأربعمائة، ودفن في داره ثم نقل بعد سنتين إلى مقبرة الحسين فدفن بجنب والده(7).

– أبو ذر الهَرَوِيّ: الحافظ الإمام المجود العلامة شيخ الحرم أبو ذر عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن غفير بن محمد، المعروف –ببلده– بابن السمّاك الأنصاري الخراساني الهروي المالكي صاحب التصانيف، وراوي الصحيح عن الثلاثة: المستملي والحموي والكشميهني، قال: ولدت سنة خمس أو ست وخمسين وثلاثمائة، تفقه عليه عبد الحق بن هارون السهمي وأبو الحسين بن المهتدي بالله وعلي بن عبد الغالب البغدادي... وغيرهم.(1)

هـ– ومن غيرهم:

– عبد الله بن أحمد التميمي الشيخ العدل أبو محمد كان رجلاً صالحًا عدلاً ببلدنا، وحج قديمًا في عشرة وأربعين وأربعمائة، فلقي الفقيه عبد الحق الصقلي، والقاضي القضاعي، وأبا المعالي الجويني... وغيرهم، وسمع كتاب الإخبار عن فوائد الأخبار، من تأليف الشيخ الزاهد أبي بكر محمد بن أبي إسحاق، وكان يقول: إن عبد الحق سمعه منه بمصر، توفي –رحمه الله– بسبتة آخر عام إحدى وخمسمائة(2) (3).

تلاميذه:

---

(7) سير أعلام النبلاء: ٤٧٦/١٨، وانظر البحوث المقدمة في الندوة الدولية بمناسبة الذكرى الألفية لإمام الحرمين الجويني التي أقامتها كلية الشريعة بجامعة قطر سنة ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

(1) سير أعلام النبلاء: ٥٥٤/١٧.

(2) الغنية ص ١٥٩، تحقيق ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

(3) هؤلاء الشيوخ الذين قدمت تراجم أسمائهم إنما استفدتهم من ترجمة القاضي عياض لعبد الحق الصقلي.

بالرغم من خلوّ ترجمة عبد الحق الصقلي من ذكر تلاميذ أخذوا عنه – فقد وقفْت عند نفر ممن تتلمذوا له، وفيما يلي ذكر أسمائهم مع ترجمة موجزة:

– أبو حفص عمر بن يوسف بن محمد بن الحداء القيسي الصقلي، ولد بصقلية سنة ثلاثين وأربعمائة، وقرأ بها على أبي عبد الله محمد بن عبد القناد، وأبي محمد بن فرج المقرئين، والفقه على عبد الحق بن محمد بن هارون، وأبي بكر محمد بن عبد الله بن يونس، وأبي بكر بن عتيق السمنطاري، ثم توجه إلى الحجاز سنة ٤٥١هـ، ثم انتقل إلى الإسكندرية سنة ٤٧٢هـ، وأقام بها إلى أن مات، توفي في محرم سنة ٥٢٦هـ[4].

– عبد الرحمن بن سعيد بن هارون أبو المطرف بن الوراق الفهمي السرقسطي، أحد الحذّاق بالقراءات، أخذ عن أبي عبد الله المغامي، والحسن بن مبشر، وأبي داود، وسمع من أبي الوليد الباجي وغيره، وأقرأ الناس بجامع قرطبة، وأَمَّ به، وكان ثقة محققًا[5]. وأبو المطرف هذا أخذ عن القاضي عياض فهرست عبد الحق الصقلي وتصانيفه، كما سمع منه فهرست القاضي عبد الوهاب وتصانيفه ورواياته، حدثه بها ابن عتاب عن ابن شماخ عنه –أبو المطرف بن هارن – عن عبد الحق عنه[6].

– خلف بن إبراهيم بن خلف بن سعيد العلامة أبو القاسم بن النحاس القرطبي الحصار المقرئ خطيب قرطبة، رحل وحج، وقرأ القراءات بمكة على أبي معشر عبد الكريم الطبري، وبمصر على كريمة المروزية، وعدة، وطال عمره، وبعد صيته، وكان مدار الإقراء عليه بقرطبة. قال ابن بشكوال: كان ثقة صدوقًا، بليغ الموعظة فصيح اللسان حسن البيان، جميل المظهر والملبس، فكه المجلس، سمعت خطبه في الأعياد والجمع. ولد سنة سبع وعشرون وأربعمائة، ومات في صفر سنة إحدى عشر

---

(4) معجم السفرة ص ٢٣٥ – ٢٣٦.

(5) معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار للإمام الذهبي، ص ٤٧٨ الترجمة ٤٢٠.

(6) الغنية ٢٢٨ – ٢٢٩.

وخمسمائة -رحمه الله-[1]، أجازه أبو عمر بن عبد البر، وجالس بصقلية عبد الحق فأجازه[2].

- مروان بن عبد الملك اللواتي: أصله طنجي، أبو محمد، سكن سبتة، ثم رجع إلى طنجة، وهو ممن طلب العلم وتفنن في فنون منه[3]، له سماع عال من المصريين: ابن نفيس، وابن منير، وأبي محمد ابن الوليد، ونمطهم، وقرأ القرآن على المقرئين بها، وجالس الفقيه عبد الحق بصقلية[4]، وكان ذا علم بالقرآن والنحو واللغة، ذا فهم في الفقه، آخذًا بأشعار العرب، خطيبًا مصقعًا، فصيح الكلام جهوري الصوت على نهج الأعراب، ولي الفتيا والخطبة بسبتة وسمع الناس منه كثيرًا، ودرس المدونة، وكانت وفاته سنة إحدى وتسعين وأربعمائة[5].

- أحمد بن عبد الله العطار من أهل قرطبة يكنّى أبا العباس ويعرف بالقونكي، له رحلة حج فيها، ولقي كريمة المروزية فروى عنها صحيح البخاري، ولقي عبد الحق الصقلي... وغيره، وعاد إلى بلده فحدّث، وروى عنه ابن بشكوال وسماه في معجم شيوخه، وأغفل ذكره في الصلة، وتوفي عقب رمضان سنة ثمان عشرة وخمسمائة[6].

- محمد بن عمر بن قطري الزبيدي من أهل إشبيلية، يكنى أبا بكر وأبا عبد الله، روى عن أبي الوليد الباجي، وأبي العباس العذري، وأبي الليث السمرقندي، وأبي عبد الله بن سعدون القروي، وله رحلة حج فيها، وروى بمكة عن الحسين الطبري، وبصور عن أبي بكر بن ثابت الخطيب البغدادي، ولقي عبد الحق الصقلي، وابن

---

(1) معرفة القراء الكبار ٤٦٥ - ٤٦٦.

(2) الغنية ١٤٧.

(3) ترتيب المدارك: ١٧٧/٨.

(4) الغنية ص ١٩٧.

(5) ترتيب المدارك: ١٧٧/٨-١٧٨.

(6) التكملة لكتاب الصلة: ٣٧/١.

بابشاذ النحوي، ومهدي بن يوسف الوراق... وغيرهم، وكان عالمًا بالنحو والأصول، وسكن سبتة، وعلم بها العربية إلى أن توفي بها سنة إحدى وخمسمائة[7].

– أبو العباس أحمد بن محمد الجزار: صقلي مشهور، مقدم ببلده، انفرد برئاسة الفتيا، والشهرة بالخير، والديانة، والصيانة، وكان من أهل التحقيق بالفقه والأصول، وبه تفقه أبو القاسم السرقسطي، ومتأخرو الصقليين، ولقيه أبو الوليد الباجي، وابن عمار، وغيرهما من الأندلسيين، قرين عبد الحق في رئاسة العلم بصقلية[1].

علمه:

إن تحلية ابن عمار في حق عبد الحق الصقلي لأكبر دليل على علم الرجل وتمكّنه، فقوله: إمام مشهور بكل علم متقدم مدرس للأصول والفروع[2]، وشهادة ابن سعدون تؤكد ما قيل: فيه وقار أهل العلم وسكينتهم وإذعانهم للحق كثير الإنصاف، وفي تحلية أبي الوليد الباجي له بفقيه الجزيرة دليل آخر على علمه وفقهه، يضاف إلى هذا ما قاله الشيخ محمد مخلوف: الحافظ النظار العلم المتفنن. وبالرجوع إلى كتب التراجم، عثرنا على إسهامات علمية لعبد الحق الصقلي تشهد له برسوخ العلم إلى جانب مؤلفاته الفقهية.

أ – في القراءات:

ومن أمثلة توجيهه للقراءات يقول: إن هذه القراءات التي تنسب إلى ابن مسعود نقلت نقل آحاد.. والآحاد غير مقطوع به، والقرآن إنما يؤخذ بالنقل المقطوع به، الذي نقلته الكافة عن الكافة، وقال: إنها قراءة تخالف مصحف عثمان –رضي الله عنه - المجتمع عليها[3].

---

(7) التكملة لكتاب الصلة: ١ / ٣٣٢.

(1) ترتيب المدارك: ٨/٧٥.

(2) ترتيب المدارك: ٨/٧٥.

(3) النكت والفروق ص ١٦ "ع".

يقول ابن مكي الصقلي: قال لنا الشيخ أبو محمد عبد الحق أيده الله: رأى بعض أهل العلم أن اللحن الذي لا يجوز مثل إظهار هذه النون الخفية، والتنوين عند الياء والواو، وتبديل الضاد ظاءً، والظاء ضادًا، وأشباه ذلك، إذا كان في غير أم القرآن أن الصلاة خلف القارئ بذلك جائزة، قال: ومنع أبو الحسن القابسي -رحمه الله- من الصلاة خلفه، وإن كان لحنه في غير أمّ القرآن، قال الشيخ أبو محمد: وهذا صحيح، لأنه إذا غير القرآن كان متكلمًا في الصلاة، إذ كلام الله -عز وجل- غير ملحون، فليس الذي تكلم به كلام الله تعالى، وإنما هو كلامه، فصار كمن تكلم في الصلاة متعمدًا[1].

ب – في التفسير:

ذكر القرطبي عند تفسيره لقوله تعالى: **(مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ)** قول عبد الحق الصقلي، ورده على طوائف المنجمين وأهل الطبائع والمتحكمين من الأطباء، وسواهم من كل من ينخرط في هذه الأسماء[2].

ج – في الحديث:

قال ابن مكي في باب ما تأولوه على غير تأويله، ومن ذلك ما توهمهم قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "حدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج"[3]، أن معناه حدثوا عن بني إسرائيل بما صح عندكم وبما لا يصح، وليس كذلك. قال لنا الشيخ أبو محمد عبد الحق أيده الله: إنما المعنى لا حرج عليكم ألا تحدثوا عن بني إسرائيل، لأن أول الحديث واجب، وهو قوله: "بلّغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج" فالمعنى: واجب عليكم أن تبلغوا عني ولو آية، وليس بواجب عليكم أن تحدثوا بما

---

(1) تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، ص ٣٠٣، تحقيق د. عبد العزيز مطر، دار المعارف القاهرة.

(2) تفسير جامع أحكام القرآن: ١/١١، ونقل هذا القول عن ابن عطية، ونقله عنه الآلوسي في روح المعاني: ٢٩٧/١٥.

(3) سنن أبي داود: ٣٢٢/٣، صحيح ابن حبان: ١٤ / ١٤٧.

صح عندكم من حديث بني إسرائيل، بل إن شئتم حدثوا، وإن شئتم لا تحدثوا، لا حرج عليكم في ذلك، كما عليكم الحرج إذا لم تبلغوا عني[4].

وفاته:

توفي عبد الحق -رحمه الله- بعد مسيرة علمية حاشدة ارتحل فيها بين صقلية والقيروان والحجاز والإسكندرية، يحدثنا القاضي عياض بتردُّد عبد الحق على بلاد مصر إلى أن توفي بها بالإسكندرية بعد الستين والأربعمائة[1].

وذكر ابن فرحون نفس الأمر إلا أنه حدد تاريخ وفاته في سنة ست وستين وأربعمائة بالإسكندرية[2]، وهو ما نقله الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء[3]، لكن صاحب طبقات المالكية أورد خبرًا جديدًا بعد مناقشته لتاريخ وفاة عبد الحق ومكان دفنه فقال: سكن عبد الحق بعد هذه ببلاد مصر إلى أن توفي بالإسكندرية سنة ست وستين وأربعمائة، وهكذا في الديباج لابن فرحون والفكر السامي، ورأيت في مشيخة التجيبي حين ذكر دخوله بيت المقدس فقال: وللمسجد الأقصى أبواب منها باب المحراب بإزاء محراب داود -عليه السلام- بغربيّ الجامع وشرقي باب الرحمة، وبإزاء هذا القبر قبر عبد الحق الصقليّ الفقيه، اختار أن يدفن هناك[4]، وقد عثرت في معجم السفر على رواية تشهد لما أورده صاحب الطبقات المالكية مفادها أن عبد الحق صلى بمصر سنة تسع وخمسين وأربعمائة على أبي إسحاق الأشيري، قال: وتوفي عبد الحق بعدهما كذلك سنة تسع وخمسين ببيت المقدس، وقد رأيْته وحضرت مجلسه بمصر، وسمعته يقول: سمعت عبد الجليل بن مخلوف الصقلي[5].

---

(4) تثقيف اللسان وتلقيح الجنان ص ٢٤٦.

(1) ترتيب المدارك: ٨/٧٢-٧٤.

(2) الديباج المذهب ص ١٧٤.

(3) ١٨ / ٣٠١، الفكر السامي: ٤ / ٢٥٠، شجرة النور الزكية ١١٦.

(4) طبقات المالكية ٢٧٢.

(5) وهو من شيوخ عبد الحق، راجع معجم السفر: ١ / ٢٣٢.

وما يهمّنا في هذه الروايات أن عبد الحق الصقلي نشأ بصقلية وتفقّه بها، وارتحل إلى القيروان، ثم إلى الحجاز، ثم رجع إلى صقلية، ثم إلى الحجاز ثانية، ثم استقرَّ بالإسكندرية حيث أخذ عنه عدد لا يستهان به من طلبتها.

آثاره:

اتفقت أخبار المترجمين لعبد الحق الصقلي أنه لم يؤلف سوى خمس مؤلفات: كتاب النكت والفروق وهو أول ما ألف، وكتاب تهذيب الطالب، واستدراك على مختصر البرادعي، وكتاب عقيدة، وجزء في ضبط ألفاظ المدونة.

وفيما يلي نشرة بمؤلفاته وأخباره حسب ما تمكنت الوصول إليه:

أ – وسأبدأ بالحديث عن كتاب تهذيب الطالب وفائدة الراغب، يقول عبد الحق في مقدمته: هذا كتاب قصدت فيه إلى الكلام على كثير من مسائل المدونة والمختلطة بما يشتمل جميعه على شرح مجمل، وتفسير مشكل، وتمام لمسائل ناقصة، وتفريق من مسائل مشتملة، وزيادات مشكلة، وزيادة معنى ما جرى ذكره من مسائلها، ومقدمة في أوائل الكتب، وبعض الرسوم ليتهذب بها الطالب وينتفع بها الراغب[1].

وقد صحّت نسبة هذا المؤلف لصاحبه، وذلك بشهادة كل من ترجموا له ممن قدمنا أسماءهم، كما ذكر ابن عطية في فهرسه أنه أخذ كتاب تهذيب الطالب وفائدة الراغب عن الشيخ الجليل الفقيه أبي العباس أحمد بن عثمان بن مكحول، ومن طريق أبي عبد الله محمد بن عمر بن أبي العصافير الجياني[2].

نسخ التهذيب:

توجد نسخ من تهذيب الطالب للخزائن التالية:

– خزانة القرويّين بفاس: تتوفر على قسمين من هذا المخطوط.

الأول: تحت عنوان تهذيب الطالب وفائدة الراغب المشتمل في كثير من المسائل المدونة والمختلطة، تحت رقم: (٣٥٧) أوراقه (١٠٥) مقاسه (١٩/٢٦)، ويحتوي هذا

---

(1) تهذيب الطالب ص ١، مخطوط القرويين رقم: ٣٥٧.

(2) فهرس ابن عطية ص ١٢٨ – ١٣٧.

الجزء على: كتاب الطهارة – كتاب الصلاة الأول – كتاب الصلاة الثاني – كتاب الجنائز – كتاب الصوم – كتاب الاعتكاف، وبما أن الكتاب غير كامل فإنه خالٍ من اسم الناسخ وتاريخ النسخ.

وصفه الأستاذ العابد الفاسي –رحمه الله– بأنه سطر واحد بخط أندلسي متلاش جدًّا خاصة الأطراف، تغيرت كتابته في الأوراق الأخيرة، مكتوب على ظهر الورقة الأولى أنه حبس على خزانة جامع الأندلس، وذلك شهر جمادى الأولى عام سبعة وثمانين وسبعمائة(3).

الثاني: السفر الثاني من الكتاب الكبير تحت رقم (١١٤٤)(4) أوراقه (١١٧) مسطرته (٤٢) مقاسه (١٨/٢٤).

وصفه الأستاذ العابد الفاسي بقوله: جزء متوسط قديم بخط أندلسي أصابه التلاشي الشديد، يبتدأ بقوله: في زكاة الحلي وحلية السيف والأواني، ونحو ذلك من كتاب الزكاة، وفي آخر هذه الأوراق الأولى: تم كتاب الزكاة الثاني، وعقبه كتاب الحج، ثم كتاب الصيد وكتاب الضحايا، ثم كتاب الجهاد، ثم كتاب النذور والكفارات باليمين، وبآخر هذا الكتاب خط ناسخه، ثم كتاب النذور... في صدر شعبان من سنة عشرة وخمسمائة، يتلوه كتاب العتق، وعند نهاية هذا السفر قال ناسخه: كمل السفر الثاني يتلوه في أول الثالث: فيمن أعتق أحد عبيده، وفيمن نوى ما يقتضيه لفظه، هذه محتويات هذا السفر الثاني من الكتاب الكبير لعبد الحق. ورأيت أن الفراغ من نسخ كتاب النذور كان سنة ٥١٠هـ، فبين تاريخ نسخ هذا الجزء وبين وفاة المؤلف أربع وأربعين سنة، فهو متين الاتصال بعصر المؤلف –رحمه الله–(1).

وبعد اطّلاعي على المكرو فيلم رقم (٥٣٠) لم أعثر إلا على الكتب الآتية:

---

(3) فهرس القرويين: ١ / ٣٨٤.

(4) أشار إليه بروكلمان في تاريخ الأدب العربيي: ٢٨٣/٣.

(1) انظر فهرس خزانة القرويين: ٣ / ٢٣٤ – ٢٣٥.

كتاب الحج الأول والثاني والثالث، كتاب الصيد، وكتاب الذبائح، وكتاب الضحايا، وكتاب الجهاد الأول والثاني.

نسخة مكتبة الأزهر برواق المغاربة تحت رقم (٣١٥٧) وهي على جزئين:

الجزء الأول: يبتدأ بالحمد لله الواحد القهار... هذا كتاب قصدت فيه إلى الكلام على كثير من مسائل المدونة والمختلطة. نهايته... في الاستلحاق والحملاء، يدعون التناسب والتعصب بينهم... والقول الأول هو الأظهر في مذهبنا والله أعلم... أوراقه (١٤٨) عدد الأسطر(٣٣).

الجزء الثاني: تحت رقم (٣١٥٧) عدد أوراقه (١٨٥) عدد الأسطر (٣٣)، بدايته كتاب الولاء، نهايته القول في بيع البراءة في عهدة الثلاث... فالقول الأول أقيس على ما وصفنا بأعلم ذلك. تم الكتاب. والنسختان خاليتان من اسم الناسخ وتاريخ النسخ.

وقد تم اختيار مجموعة مهمة من المخطوطات القيمة من مقتنيات رواق المغاربة ورواق الأتراك ورواق الشوام في جامع الأزهر، وتم نقل هذه المجموعة وتصويرها على المكروفيلم عام ١٩٦٣م بتدعيم من هيئة اليونسكو، وتوجد في دار الكتب القائمة تحت الطلب لهذه المادة المصورة، كما توجد أيضًا أفلام محفوظة في دار الكتب[2].

ب – كتاب العقيدة:

توجد نسخة منه بدار الكتب المصرية، تحت رقم (١١ ش) فقه مالكي، ضمن مجموع بخط مغربي دقيق[3] بعنوان: مسائل الشيخ عبد الحق وأجوبتها، للإمام الجويني، قال صاحب طبقات المالكية: وهي مؤلفة مشهورة بأيدي الناس، وقد جلبها

---

(2) دراسات في مصادر الفقه المالكي ص ١٨، ومخطوط الأزهر المذكور توجد منه نسخة بجامعة أم القرى المكرمة. انظر سلسلة فهارس المخطوطات المصورة، فهارس الفقه المالكي ٧٢-٣٧.

(3) عن كتاب العرب في صقلية دراسة في التاريخ والأدب ص ١٠٠

أبو العباس الونشريسي في نوازله[1]، وقد ألّف الإمام ابن حزم كتابًا في الرد على هذه العقيدة، سَمّاه الرسالة البلقاء في الرد على عبد الحق بن محمد الصقلي[2].

ج – كتاب الاستدراك على مختصر البراذعي:

وهو من مؤلفاته التي لم أعثر على مكان وجودها[3]، وقد وهم الحجوي الثعالبي في نسبة هذا المؤلف لعبد الحق الإشبيلي ابن الخراط، حيث قال: فله كتاب تعقب فيه على تهذيب البراذعي[4]، وهو الخطأ نفسه الذي وقع في أول صفحة من كتاب النكت والفروق المحفوظ بالخزانة العامة بالرباط، حيث نسب كتاب النكت إلى ابن الخراط، إلا أن هناك تصحيحًا لهذه النسبة في هامش الورقة، فجزى الله صاحبه بخير[5].

كما حلل الأستاذ محمد شرحبيلي الوهم الذي حصل للثعالبي فليراجع[6].

د – جزء في ضبط ألفاظ المدونة:

وهذا المؤلف لم أعثر على إشارة تدلنا عليه في فهارس المخطوطات التي قمت بتصفحها.

هـ– كتاب النكت والفروق:

عنوانه:

ورد في المخطوطات العربية المغربية[7] بعنوان: "النكت والفروق بمسائل المدونة والمختلطة".

---

(1) طبقات المالكية ص ٢٧١، المعيار المعرب: ٤ / ١١١.

(2) انظر سير أعلام النبلاء: ١٨/١٩٥.

(3) دافع القاضي عياض عن مؤلف التهذيب للبراذعي، ورد على استدراك عبد الحق، يقول: إن البراذعي بنجوة عن انتقاد عبد الحق، فإن جميع ما انتقد عليه لفظ أبي محمد – رحمه الله – يقصد ابن أبي زيد. ترتيب المدارك: ٧/٢٦٥.

(4) الفكر السامي: ٤/٢٦٥.

(5) ص ١٨٣ من مجموع رقم ٣٥٠ ق.

(6) تطور المذهب المالكي ص ٥٠٨.

وفي المخطوطات الأزهرية باسم: "نكت الأعيان مسائل المدونة والمختلطة"، وبالأسكريال باسم: "كتاب النكت والفروق من المدونة والمختلطة باختصار اللفظ في طلب التفرقة بن المسلمين ومعرفة اختلاف حكمائها"، ويشير فؤاد سزكين إلى أن هذه النسخة أصلية بخط المؤلف.

نسبته:

تثبت نسبة المؤلف إلى صاحبه بما ورد في ترجمته، وبمن أخذوا عنه من كتابه: القاضي عياض(1)، والإمام المازري في شرح التلقين، وجلال الدين ابن شاس في عقد الجواهر الثمينة(2)، وأبي عبد الله الأنصاري الرصاع في شرح حدود ابن عرفة(3)، وعبد الحق بن عطية في فهرسه(4)، حاشية الدسوقي(5)، التاج والإكليل(6)، مواهب الجليل(7).

ومن خلال هذه المصادر التي نقلت عن كتاب النكت والفروق تتضح لنا القيمة العلمية لهذا المؤلف، ويؤكد هذا أيضًا ما ذكره المقري في ترجمة أبي عبد الله محمد بن أحمد بن علي الهروي من أهل المرية، ويعرف بشمس الدين بن جابر الضرير صاحب البديعية المعروفة ببديعية العميان، ومن نظمه -رحمه الله تعالى- موريًا بأسماء الكتب. بحر الطويل:

---

(7) انظر نسخة ٢٥ من هذ البحث.

(1) الغنية ٢٢٨.

(2) ٣ / ٦٠٠.

(3) ٢ / ٧٠٥.

(4) ص ١٢١.

(5) ١/٦٦ – ٦٨ – ٢٣٥ ...

(6) ٢ / ١٣٢ – ١٥٣ – ٣١٠.

(7) ١ / ٢٢٧ – ٣٣٧.

عرائس مدحي كم أبين لغيره فلما رأته قلن هذا من الأكفا
نوادر آدابي ذخيرة ماجد شمائل كم فيهن من نكت تلفى
مطالعها هُنّ المشارق للعلا قلائد قد راقت جواهرها رصفا
رسالة مدحي فيك واضحة ولي مسالك تهذيب لتنبيه من أغفى
فيا منتهى سؤلي ومحصول غايتي لأنت امرؤ من حاصل المجد مستصفى

وقد اشتملت هذه الأبيات الخمسة على التورية بعشرين كتابًا، وهي العرائس للثعالبي، والنوادر للقالي وغيره، والذخيرة لابن بسام وغيره، والشمائل للترمذي، والنكت لعبد الحق الصقلي(7).

شبهة:

تناقل المترجمون لعبد الحق الصقلي عبارة بصيغة التمريض ومبنية للمجهول، مفادها: يقال: إنه ندم بعد ذلك على تأليفه، ورجع عن كثير من اختياراته وتعليلاته فيه، واستدرك كثيرًا من كلامه فيه، وقال: لو قدرت على جمعه وإخفائه لفعلت، أو نحو هذا(1).

وإذا تأملنا هذه العبارة في أولها وآخرها فإنه سيخالجنا الشك في مصداقيتها إذا علمنا أن عبد الحق نفسه يشير في كتابه تهذيب الطالب الذي ألفه آخرًا إلى كتاب النكت والفروق، ويحيل عليه بقوله: وقد جرى من البيان في كتاب النكت والفروق في مسألة الجبائر ما أغنى عن إعادته ها هنا(1)، ويقول في موضع آخر: وقد ذكرنا في

---

(7) نفح الطيب: ١١٤٤/٢.

(1) انظر ترتيب المدارك: ٧٣/٨، الديباج ١٧٤.

(1) تهذيب الطالب ص ٤٣ مخطوط القرويين.

كتاب النكت الانفصال من الذي احتج به أشهب، وأوضحنا المسألة هناك بما فيه الكفاية إن شاء الله، وبالله التوفيق[2].

وفي بعض الأحيان نجده يتعقب قولاً ذكره في كتاب النكت، وهو ما وعد به في مقدمة التهذيب بقوله: ولم أذكر من كتاب النكت والفروق الذي جمعته في سنة ثمان عشرة وأربعمائة إلا شيئًا تعقبته، إذ أبين وجه التعقيب فيه لما يحتاج إلى إيضاح وبيان أكثر مما وقع هنا، فأضربت عن غير ذلك مما ذكرت فيه إلا اليسير مما ذكرت فيه فيما آثرت ذكره، وبالله أستعين[3].

نسخه:

النسخ المغربية:

- نسخة الخزانة الحسنية بالرباط:

أوله: الحمد لله العزيز الأكرم، الذي علّم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم.

رقمه (٢٦١) عدد صفحاته (٢٨٨) مسطرته (٢٩) مقياسه (١٧٠٩/٢٥)، خطه خط أندلسي عتيق يضرب للإدماج والملاحة، مشكول، رسمت به الفواصل على طريقة الوراقة القديمة، وهو خال من تاريخ التأليف والنسخ واسم الناسخ[4].

- نسخة الخزانة العامة: وهي ضمن مجموع تحت رقم (٣٥٠) من الصفحة (١٨٤) إلى (٤٤٦) أولها: بسم الله الرحمن الرحيم... الحمد لله العزيز الكريم الذي علّم بالقلم... أبتدئ بكتاب الطهارة نهاية المخطوط، وآخرها: كتاب الديات... تم الكتاب بحمد الله وعونه وتوفيقه، كان الفراغ من نسخه التاسع من شهر رمضان الأبرك عام ثلاث وأربعين وسبعمائة قال ذلك وكتبه بخط يده الفاسي الخصاصي

---

(2) تهذيب الطالب ص ٨٢.

(3) تهذيب الطالب ص ٢.

(4) فهارس مخطوطات الخزانة الحسنية حسب أرقامها على الرفوف ١٢٩/١ مرقون ١٩٨٣ الأستاذ محمد المنوني رحمه الله.

الحسني.. لطف الله به والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الكاملة على محمد خاتم النبيين، عدد الأسطر (٢٧)، (٢١) كلمة في السطر.

وبجامعة أم القرى بمكة المكرمة توجد نسخة تحت رقم (٢٤٧) يقال إنها صورة عن نسخة للخزانة العامة رقم (٣٥٠) عدد أوراقها (١٣١) تاريخ نسخها (٧٤٣هـ) وعدد أسطرها (٢٧)[1].

نسخة خزانة ابن يوسف: وهي تحت رقم (٤٩٩).

تاريخ نسخه: ضحوة الاثنين ٢٣ صفر (٧٤٠هـ) تحبيس: عبد الواحد بن أحمد بن محمد الحسني على خزانة جامع علي بن يوسف.

نوع الخط: أندلسي مسطرة (٣٥) مقاس (٢١٠/٢٧٠)[1]

- النسخة المصرية: بالمكتبة الأزهرية برقم (٣١٥٦/٢٧٠).

عدد أوراقها (١٩) بخط مغربي بدايته الحمد لله العزيز الأكرم.. أما بعد فإن بعض أصحابنا من طلبة الفقه سألني... نهاية الكتاب، كتاب الشركة... فإن خسر أحدهم وربح الآخر... فإن انقطعت حجته فيما قدمنا فلا كلام له.

وهذه النسخة بعنوان "نكت أعيان المسائل المدونة والمختلطة والتعريف في مسائل شاعت ألفاظها وفرقت أحكامها".

الصفحة الأولى أكلتها الأرضة[3].

- النسخة الأندلسية: "كتاب النكت والفروق من المدونة والفروق باختصار اللفظ في طلب التفرقة بين المسلمين ومعرفة اختلاف حكمائها".

---

(1) انظر فهرس المخطوطات المصورة ص ٣٦٥.

(1) فهرس مخطوطات خزانة ابن يوسف بمراكش ٢٤١.

(3) هذه النسخة مصورة عن المكروفيلم ضمن المخطوطات المصورة بجامعة أم القرى. انظر فهرس المخطوطات السابق الذكر ص ٢٦٤.

بالأسكريال: رقمه (٧٨) ورقاته (١٠٠) تاريخ نسخه (٤٥٩هـ) ناسخه مؤلفه عبد الحق الصقلي[4].

سبب تأليفه:

حدد عبد الحق الصقلي في مقدمة كتابه سبب التأليف، فقال: أما بعد فإن بعض أصحابنا من طلبة الفقه سألني العناية بجمع ما يقع لي، لأن المبتدأ في طلب الفقه، ومن لم يتسع فيه، محتاج إليه، في أعيان مسائل من المدونة والمختلطة... ورجاء سائلي في ذلك أن فيه معونة للمبتدئين ورياضة للمتوسطين، وعوناً على درك ما وراءه، فسارعت إلى ما رغب ابتغاء النفع به والمثوبة عليه.[5]

تاريخ تأليفه:

كان ابتداؤه في هذا الكتاب والفراغ منه في سنة ثمان عشر وأربعمائة، كما أشار في مقدمته.

مظاهر التأثر بالمعالم الأصولية والفقهية للمدرسة البغدادية:

إن الباحث في المصنفات الفقهية الصقلية، وخاصة كتابي: النُّكت والفروق لمسائل المدونة والمختلطة، وكتاب تهذيب الطالب وفائدة الراغب المشتمل في كثير من مسائل المدونة والمختلطة، يظهر له –بجلاء– أثر المدرسة البغدادية في المدرسة الصقلية، وذلك من خلال الاستشهاد بأقوال أعلامها والنقل عن مصنفاتها، وهذه بعض تلك النقول عن أولائك الأعلام:

قال أبو محمد عبد الوهاب البغدادي –رحمه الله– في بعض تواليفه: الطهارة التي يتعلق بها أداء العبادات في الشرع على ضربين: طهارة عن حدث، وطهارة عن نجس. فالطهارة عن الحدث على ضربين: طهارة لازمة في جميع الجسد، وطهارة في بعضه. فأما الطهارة اللازمة في بعضه فتقع على وجهين: تارة أصلاً، وتارة بدلاً. فأما الأصل منها فهو الوضوء الشرعي بالماء المطلق الواجب في الأعضاء الأربعة،

---

(4) تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين، ١٤٣/٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨م.

(5) النكت والفروق ص ١.

وأما البدل فهو التيمم بالصعيد الذي يلزم تارة عن الحدث الأدنى فيكون بدلاً عن الوضوء، وتارة عن الحدث الأعلى، وهو الجنابة والحيض والنفاس، فيكون بدلاً من الغسل، وصورته واحدة في كونه بدلاً عنهما، وإن اختلفت صورة أصليه، وهو عندنا طهارة على الحقيقة، وإن كان لا يرفع الحدث. فأما الطهارة التي تلزم جميع البدن في الغسل من الجنابة والحيض والنفاس.

قال عبد الحق: قد سمى أبو محمد عبد الوهاب التيمم بدلاً وهي عبارة مجيزة من أهل المذهب، وذكر عن بعض المتأخرين من أهل مذهبنا أنه قال: لا أقول إن التيمم بدل، وأنما أقول إنه عبادة مستأنفة، وأراه إنما قال ذلك لأن البدل يقوم مقام المبدل، ويسد مسده في كل الأحوال، والتيمم لا يقوم مقام الطهارة بالماء، ولا يسد مسدها في كل الأحوال، لأنه لا يصلى به صلوات ولا يرفع حدثًا، فهو بخلاف الطهارة بالماء، وإن كان يستباح به الصلاة كما تستباح بالطهارة بالماء فهو بخلاف الذي ذكرناه، فاحترز بذلك من ان يسميه بدلاً.

قال عبد الحق: وأقسام جميع ما يقع عليه اسم طهارة على أربعة أضرب: فطهارة واجبة، وهي الطهارة من الحدث، وطهارة هي سنة، كالطهارة من النجاسة على القول المشهور في المذهب، كغسل الجمعة، وغسل الإحرام، وطهارة مندوب إليها، كالغسل لدخول مكة، ولوقوف عرفة، وغسل اليدين، وطهارة مجدد الوضوء، وطهارة مباحة، وهي الطهارة على باب التبرد، وإزالة الأوساخ عن البدن، فاعلم ذلك.

قال أبو محمد عبد الوهاب: أحكام الوضوء ثلاثة أنواع: فريضة، وسنة، وفضيلة، والسنة أوكد من الفضيلة، ففروضه ستة.. قال عبد الحق: ولم يذكر عبد الوهاب في فرائض الوضوء الموالاة لاختلاف أصحابنا فيها، وقد قال بعد كلامه الذي ذكرنا: ومن أصحابنا من يعد الموالاة مع الذكر، قال: والذي يجب أن يقال إن التفريق يفسد مع التعمد، والتفريق مع الطول المتفاحش الخارج عن الموالاة، ولا يفسد قليله ولا على وجه السهو.

قال القاضي أبو الحسن بن القصار في كتابه الكبير في مسائل الخلاف: وأما الموالاة فمن أصحاب مالك من قال إنها مسنونة، والظاهر من قول مالك أنها واجبة، وقال: إنْ فرّق الوضوء مقدار ما يجف فيه الماء على وجهه في هواء معتدل لم يجزئه، ثم رجع بنا الكلام على ما ذكر عبد الوهاب في سنن الوضوء، قال: وسننه سبع، وهي غسل اليدين قبل إدخالهما في الإناء، والمضمضة، والاستنشاق، وغسل البياض الذي بين الصدغ والأذن، ومسح داخل الأذنين، وفي ظاهرهما خلاف، وتجديد الماء لهما، والترتيب، قال: وفضائله ثلاث، هي السواك قبله، والتسمية عند بعض أصحابنا، وتكرار مغسوله مرتين.

قال عبد الحق: قول أبي محمد عبد الوهاب: إن من سنن الوضوء غسل البياض الذي بين الصدغين والأذن – فيه نظر، لأن الناس بين قائليْن: فقائل يقول ليس هو من الوجه، وهو قول مالك، وقائل يقول إنه من الوجه، فأما إثبات كونه سنة فيفتقر إلى دليل، وسنذكر مسألة البياض الذي بين الصدغ والأذن بعد هذا –إن شاء الله–[1].

وقد أكثر العلامة عبد الحق الصقلي –رحمه الله تعالى– من النقل عن القاضي عبد الوهاب –رحمه الله– وعن الشيوخ البغداديين في مواطن كثيرة من مؤلفيه، جاء في كتاب تهذيب الطالب:

ذكر أبو محمد عبد الوهاب في بعض تواليفه في غسل الإناء سبعًا من ولوغ الكلب هل هو واجب؟ فقال: اختلف أصحابنا في تخريج قول مالك، فمنهم من قال: إنه واجب على جهة التعبد، ومنهم من قال: إنه مستحب ليس بواجب.

وتعلق من ذهب إلى وجوبه بأن ذلك ظاهر قول مالك، وبأنه ساوى بين الطعام والماء في رواية ابن وهب، والذين حملوا قوله على الاستحباب تعلقوا برواية ابن القاسم: إن كان يغسل ففي الماء وحده، وهذا الكلام يفهم منه ضعف أمر الغسل، وأنه ليس بالقوي، وذلك يناقض الوجوب.

---

(1) تهذيب الطالب، الصفحات ٧–٨–٩ من مخطوط القرويين بفاس.

وقد شرح ابن أبي أويس عنه بأبلغ من هذه، وهو قوله: وليس غسل الإناء سبع مرات بالأمر القوي، وإنما هو حديث جاء، ولم يحدّ فيه حدًا، وضعف الحديث الوارد بالسبع، ومعنى ذلك تضعيف حمله على الوجوب، وورود الأمر بذلك، فظاهره على الوجوب، وحجة من حمله على الاستحباب أنه إذا ثبتت طهارة الكلب لم يبق لوجوب غسل الإناء من ولوغه كسائر الحيوان، ولا يجوز أن يعلل ذلك بالشك في نجاسته، لأن نفس النجاسة ما توجب عددًا في غسله، فالشك أولى.

وينتقض ذلك بسؤر النصراني، وترجيح الوجوب أظهر لأن المقصد بأن يغسل الإناء هو التغليظ والتشديد، لينتهوا عن الاتخاذ، والاقتضاء في نفي الوجوب إبطاله لهذا الغرض والله أعلم، فرجّح أبو محمد عبد الوهاب رواية ابن وهب: أن الإناء يغسل من الطعام، وإنما قال: وهذه الرواية أقيس، لأن قصر الخبر على الماء دعوى غير ثابتة، لأن ظاهره العموم، ولأن من قصره على الماء وحده إنما ذهب إلى أن عامة ما يلغ فيه الكلب هو الماء، وهذا ليس بصحيح، لأن الاعتبار عرف التخاطب دون عرف العقل، ألا ترى لو قال: حرمت عليكم اللحوم لعم ذلك جميع اللحوم (المعتاد أكلها وغير المعتاد).

قال القاضي أبو الحسن بن القصار: فأما غسل الإناء من ولوغ الخنزير فليس بواجب، وروى مطرف عن مالك: أنه يغسل سبعًا كما قال في ولوغ الكلب، والدليل للرواية الأولى –أنه لا يجب غسله– هو أن وجوب غسل الإناء يحتاج إلى شرع، ولولا أن النص ورد في الكلب لما أوجبناه، وأيضًا فإن النبي –صلى الله عليه وسلم– غلّظ في الكلب؛ لأنهم كانوا يقتنونه، فيؤذي الضيف ويروّع المسلم، فغلظ عليهم فيه حتى ينتهوا وما لا يقتنون فلا يجب غسل ما ولغ فيه، ووجه ما رواه مطرف هو أنه في غالب حاله يأكل الأنجاس ولا يجتنبها، وقد ورد النص في تحريمه من بين السباع، فإذا غلظ الغسل في الإناء من ولوغ الكلب ففيه أولى.

قال أبو محمد في النوادر: قال أبو بكر بن الجهم: وذكر نحوه ابن سحنون في كتاب الجوابات: أنه اختلف قول مالك في غسل الإناء سبعًا من ولوغ الكلب، فقيل إنه

جعل معنى الحديث في الكلب الذي لم يؤذن في اتخاذه، وقيل إنه جعله عامًّا في كل كلب، والقول الأول قول أحمد بن المعذل[1].

قال عبد الحق: ورأيت في كتاب أحكام القرآن لابن خويزمنداد قال: وأما ما لا نفس له سائلة إذا وقع في الماء، فظاهر المذهب وصحيحه أنه لا ينجس. قال: وهذه المسألة مبنية على قوله في الجراد، قال مرة: تؤكل إذا مات حتف أنفسه، وكذلك في الحشرات مثل الخنافس والعقارب إذا أراد التداوي بها قطف رؤوسها حتى تموت ثم يتداوى بها، فإذا حكم بأن الجراد لا يؤكل حتف أنفه فالذباب وسائر الحشرات مثله، ومتى وقع في شيء أنجسه. قال عبد الحق: وقياسه الحشرات وسائر خشاش الأرض على مسألة الجراد فيه نظر[2].

قال أبو بكر الأبهري في الشرح: الحجر وما كان في معناه من كل شيء طاهر يجوز الاستنجاء به، إلا ان يكون شيئًا من المأكول، فإنه لا يجب أن يُستنجي به، من طريق الشرف والفساد، فإن استنجى به فقد أساء ولا شيء عليه، قال: ولست أعرف هذا لمالك وأصحابه نصًا، ولكن أقول ما توجبه أصول مالك[1].

وفي كتاب ابن الجلاب: فيمن يكثر عليه المذي لطول عزبة يتوضأ لكل صلاة شرط فيه لطول عزبة يستطيع رفعها بتزويج أو تَسَرٍّ، قال ابن الجلاب، وإذا أمذى صاحب السلس بالقبلة مذيًا لشهوة فعليه الوضوء، وكذلك إذا بال صاحب سلس البول بول العادة لزمه الوضوء، ورأيت لأبي العباس اللبيابي في الرجل تكون به العلة في جوفه والشيخ الكبير يستنكحهما خروج الريح في كل وقت، لا يستطيعان حبس ذلك، أنهما بمنزلة سلس البول وصاحب المذي، وهما قد استرخت مواسكهما، فالحكم فيهم سواء[2].

---

(1) تهذيب الطالب ص ١٦ – ١٧.

(2) تهذيب الطالب ١٣.

(1) تهذيب الطالب ٢١.

(2) تهذيب الطالب ٣٠.

في كتاب الصوم من النكت والفروق:

قال بعض شيوخنا من القرويين: إذا وطئ في رمضان ثم كفر ثم وطئ تارة أخرى في ذلك اليوم وجبت عليه كفارة ثانية، وأما إن لم يكفّر حتى وطئ مرارًا فهذا الذي تجزئه كفارة واحدة، قال: ومثل هذا موجود في أصولهم كثير: من ذلك الذي يكرر ما تجب فيه الفدية من طيب أو لبس ومحرم أنه تجزئه من ذلك فدية واحدة، ولو أنه أخرج الفدية ثم عمد ففعل كرر عليه الحد، واحتج بأنه إذا كفر ثم عمد بعد ذلك إلى الوطء فوطئ، فالوطء محظور عليه، وحرمة اليوم باقية لا يسوغ له انتهاكها، فوجب أن يكفر لفعله كما لو كان مستأنفًا أيضًا، ويخالفه غيره من شيوخنا، وقال: لا فرق بين أن يخرج الكفارة ثم يطأ أو يطأ مرارًا، أنه ليس عليه في ذلك سوى كفارة واحدة؛ لأن صوم ذلك اليوم قد وجب عليه قضاؤه وقد هتك حرمته.

فتُعلق عليه الكفارة فليس تكرار ذلك عليه، وقيل إن مثل هذا ذكره ابن القصار البغدادي في كتابه الكبير مسائل الخلاف(3).

قال إسماعيل القاضي: طواف القادم أول ما يدخل مكة سنة، والطواف الواجب الذي لا يسقط بحال هو طواف الإفاضة، وأهل العراق يسمونه طواف الزيارة، قال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾(١)، فكان هذا هو الطواف المفترض في كتاب الله، قال ابن المنذر: وأجمع أهل العلم على أن هذا الطواف الواجب هو طواف الإفاضة، وهو المفترض في كتاب الله –عز وجل–: أما الطواف الأول عند دخول المحرمين مكة فهو سنة، وقد سن رسول الله –صلى الله عليه وسلم – للقادمين المحرمين بالحج تعجيل الطواف عند دخولهم مكة، وقد كان هو فعل ذلك(1).

وفي كتاب الصلاة الثاني:

---

(3) النكت والفروق ٢٨، من مخطوط الخزانة الحسنية.

(١) سورة: الحج آية: ٢٩.

(1) كتاب الحج الأول من النكت ٤٨، من مخطوط الخزانة الحسنية.

قال عبد الحق: سجود القرآن على مذهب مالك من السنن المندوب إليها، وليس بواجب كما يزعم بعض الناس، ويستدلون على وجوب ذلك بأن الله تعالى قد علق الذم بترك السجود في قوله –عز وجل–: (وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ)[1]، والذم إنما يتعلق فيه بترك واجب، وهذا لا دليل فيه لهم، لأن هذه الآية وما بعدها إنما هي واردة في الكفار، ألا تراه تعالى قال: (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ)[2] إلى ما بعد ذلك، فهذا الذم إنما يتعلق بترك الإيمان لا على نفس السجود، وقد قال عمر –رضي الله عنه- : "ألا إن الله لم يكتبها علينا إلا أن نشاء" أو كما قال، قال: رأيت بعض البغداديين ذكر مثل قول عمر –رضي الله عنه – للنبي –صلى الله عليه وسلم – وليس الغرض التطويل في إقامة الدليل على نفي وجوبها، وإنما القصد معرفة المذهب وقد بيّناه[2].

هذه النصوص وغيرها لا شك أنها تدل على سعة اطلاع عبد الحق الصقلي على آراء المدرسة البغدادية عمومًا، وعلى آراء شيخه القاضي عبد الوهاب –رحمه الله– خصوصًا، وتأثرها بمنهجه في الاستدلال، وبسط المسائل الفقهية.

---

(١) سورة: الانشقاق آية: ٢١.

(٢) سورة: الانشقاق آية: ٢٢.

(2) النكت والفروق ص ١٣، من مخطوط الخزانة الحسنية.

خاتمة

في نهاية هذا البحث بودي أن أضع بين يدي القارئ الكريم هذه الخلاصة لأهم النتائج وقد رأيت ترتيبها في النقاط الآتية:

– أن الأقطار الإسلامية عاشت وحدة منقطعة النظير في عصر غابت فيه الوسائل المتاحة في عصرنا اليوم.

– أن مدارس المذهب المالكي ساهمت في تدعيم وترسيخ قواعد المذهب بالأقطار الإسلامية.

– أن علماء المذهب المالكي بذلوا كل جهد في تدوين أقوال المذهب وتوثيقها في مصنفاتهم، فعلى الباحثين القيام بدورهم في تحقيق هذه المصنفات والإسراع بطبعها وتعميم فائدتها.

– أن المدرسة الصقلية استفادت من مشايخ المدرسة البغدادية وعلمائها.

– أن المصنفات الصقلية تختزن كثيرًا من النقول عن مؤلفات عراقية لم تصلنا.

– تتلمذ العلامة عبد الحق الصقلي للقاضي عبد الوهاب، وأخذ عنه مؤلفاته، وروايتها للمغاربة والأندلسيين.

– اعتماد أقوال القاضي عبد الوهاب الفقهية في مؤلفات العلاّمة عبد الحق الصقلي، والاعتراض عليها في بعض الأحيان ومناقشتها.

– الأعلام الذين ورد ذكرهم في الأمثلة المتقدمة دليل على أثر المدرسة البغدادية في المدرسة الصقلية.

أسأل الله تعالى أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، وأن يجزي علماءنا وفقهاءنا خير ما يجازي به عالمًا عن تلاميذه وطلبته، وأن لا يحرمهم من أجر علمهم الذي انتفعنا به.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مصادر ومراجع البحث

١ – أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، لشهاب الدين المقري، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين المغرب والإمارات.

٢ – إنباء الرواة على أنباء النحاة للقفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية ١٣٩٦ / ١٩٥٠.

٣ – بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس للضبي، المكتبة الأندلسية بمدريد.

٤ – بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي ط١، ١٣٨٤ – ١٩٦٤.

٥ – البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي الكويت ١٤٠٧، ط١.

٦ – تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، نقله إلى العربية د. عبد الحليم النجار.

٧ – تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨.

٨ – تاريخ بغداد، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية ببيروت.

٩ – تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، بتحقيق د. عبد العزيز مطر.

١٠ – ترتيب المدارك للقاضي عياض، تحقيق: أحمد بكير محمود، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان.

١١ – ترتيب المدارك للقاضي عياض، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب.

١٢ – تطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي حتى نهاية العصر المرابطي، د. محمد شرحبيلي، وزارة الأوقاف المغربية ١٤٢١ – ٢٠٠٠.

١٣ – التكملة لكتاب الصلة، لأبي عبد الله بن الأبار القضاعي، دار الفكر بيروت، ١٩٩٥م، تحقيق: عبد السلام الهراس.

١٤ – التكملة لكتاب الصلة، لأبي عبد الله بن الأبّار، طبع بمدريد.

١٥ – تهذيب الطالب لعبد الحق الصقلي، مخطوط خزانة القرويين رقم (٣٥٧).

١٦ – الجامع الصحيح لأبي عبد الله البخاري، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ١٤٠٧هـ، ط٣، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

١٧ – جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس لأبي عبد الله الحميدي، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م.

١٨ – دراسات في مصادر الفقه المالكي موراني ميكلوش، ترجمة سعيد بحري وآخرون، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٠٩ / ١٩٨٨.

١٩ – الدرة الخطيرة في شعراء الجزيرة لابن القطاع، تحقيق: بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي ط١، ١٩٩٥.

٢٠ – الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لإبراهيم بن فرحون اليعمري المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢١ – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٢ – رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية لأبي بكر المالكي، تحقيق: بشير البكوش ومحمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، ط٢ – ١٩٩٤.

٢٣ – سلسلة فهارس المخطوطات المصورة بجامعة أم القرى المكرمة، فهارس الفقه المالكي.

٢٤ – سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي (ت ٧٤٨)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، ط٩، ١٤١٣، مؤسسة الرسالة – بيروت.

٢٥ – شجرة النور الزكية لمحمد مخلوف، دار الفكر.

٢٦ – شذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي، دار الكتب العلمية – بيروت.

٢٧ – الشعر العربي في صقلية في القرن الخامس الهجري، د. فوزي سعد عيسى، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩.

٢٨ – صحيح الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٢، ط١، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٢٩ – طبقات الفقهاء لإبراهيم الشيرازي أبو إسحاق (ت٤٧٦هـ) تحقيق: خليل الميس، دار القلم – بيروت.

٣٠ – طبقات المالكية مخطوط لمؤلف مجهول بالخزانة العامة تحت رقم ٣٩٢٨ د.

٣١ – كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون، ط بولاق– القاهرة.

٣٢ – العرب في صقلية دراسة في التاريخ والأدب، د. إحسان عباس، دار الثقافة بيروت، ط٢، ١٩٧٥.

٣٣ – الغنية للقاضي عياض، تحقيق: ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٠٢ – ١٩٨٢.

٣٤ – فصول الأحكام، لأبي الوليد الباجي، تحقيق: محمد أبو الأجفان، الدار العربية للكتاب، المؤسسة الوطنية للكتاب ١٩٨٥.

٣٥ – الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي لمحمد الحجوي الثعالبي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٦ / ١٩٩٥.

٣٦ – فهارس مخطوطات الخزانة الحسنية حسب أرقامها على الرفوف، مرقون ١٩٨٣، الأستاذ محمد المنوني –رحمه الله–.

٣٧ – فهرس ابن عطية، للقاضي أبي محمد عبد الحق بن عطية المحاربي، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٤٠٠، ط١، تحقيق: محمد أبو الأجفان ومحمد الزاهي.

٣٨ – فهرس مخطوطات خزانة القرويين، د. محمد العابد الفاسي، دار الكتاب – الدار البيضاء، ط ١٣٩٩ / ١٩٧٩.

٣٩ – فهرس ابن خير لأبي بكر محمد الإشبيلي، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٩، ط١.

٤٠ – معجم البلدان لياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، دار الفكر – بيروت.

٤١ – معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي.

٤٢ – معجم السفر لأبي طاهر أحمد بن محمد السلفي ٥٧٦، المكتب التجارية – مكة المكرمة، المحقق عبد الله عمر البارودي.

٤٣ – معجم العلماء والشعراء الصقليين، د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٤.

٤٤ – معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، مكتب المثنى ودار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٩٥٧.

٤٥ – معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار للإمام الذهبي، مؤسسة الرسالة – بيروت ١٤٠٤، ط١، تحقيق: بشار عواد معروف، شعيب الأرناؤوط، صالح مهدي عباس.

٤٦ – المعلم بفوائد مسلم للمازري، تحقيق: الشيخ الشاذلي النيفر، الدار التونسية ١٩٨٨.

٤٧ – الندوة الدولية بمناسبة الذكرى الألفية لإمام الحرمين الجويني، أقامتها كلية الشريعة بجامعة قطر سنة ١٤١٩ / ١٩٩٩.

٤٨ – نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر – بيروت ١٩٦٨.

٤٩ – النكت والفروق لعبد الحق الصقلي، مخطوط الخزانة الحسنية بالرباط ٢٦١.

٥٠ – وفيات الأعيان وأنباء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الثقافة – بيروت ١٩٦٨.